مثلث الحصار على الطالبة الجامعية

البيت والشارع والحرم الجامعي!

سها الشيخلي
تصوير/ سمير هادي

الوضع الامني بما فيه من خطف واغتيالات وتفجيرات أهو وحده الذي يعكر صفو الحياة الدراسية الجامعية للطالبة، ام هناك امور استجدت وفرضت نفسها الى جانب تراكمات الماضي؟ كيف تتعايش الطالبة مع حياة ملؤها التهديد، وكيف تتلقى التعليمات والتوجيهات التي يفرضها كل من الاهل والمجتمع والاجواء الدراسية؟ وهناك مضايقات الشارع التي نسميها الحرشة. كيف تتلقاها؟ هل هناك متغيرات تدعو الى التفاؤل... كل هذه الاسئلة وغيرها كثير سنحاول الاجابة عليها في هذا التحقيق من داخل الاجواء الجامعية.

يوم في حياة طالبة

بكثير من الشجاعة والجرأة حدثتنا الطالبة لمياء كاظم التي قبلت هذا العام في احدى الكليات، تقول:

-انا لا اختلف عن الكثيرات من زميلاتي الطالبات سواء كن في كلية علمية او انسانية في المرحلة الاولى او الاخيرة فالاجواء واحدة. انا من عائلة محافظة ومعروفة، شأني شأن الغالبية من زميلاتي، اصحو على نصائح امي في الصباح بينما اتناول آخر رشفة من فنجان الشاي وأمي تحذرني، لا تضحكي مع زميلك، ولا تتحدثي معه كثيرا، اجعلي الحديث في شأن الدرس فقط، لا تعطيه دفترك بحجة انه لم يكتب المحاضرة، فهذا الاسلوب نعرفه! هو يريد ان يفتح معك باباً للمجاملة، ثم يضع لك في كشكول المحاضرة ورقة.. ومن هنا تبدأ القصة.

وانت ماذا تقولين حيال هذه التحذيرات والتخمينات؟

-انا أهز رأسي (كالدراويش) موافقة ومنصاعة لرغبات والدتي.. ثم تحدث المفاجأة التي ليست بالحسبان فسيارتنا رقمها (زوجي) واليوم لا يسمح لغير الـ (الفردي) وهذا يعني ان استقل التاكسي.. وصعقت والدتي لهذه المفاجأة وغضبت عند اقتراحي الذهاب مع جارتنا في تاكسي واحدة، وارتأت ان يذهب معنا والدي المتعب.. وبعد طول صراع وعدم رغبة والدي المتعب المتقاعد ورفض اخي مصاحبتي وجاء الحل ان تذهب هي معنا.. وقبل المغادرة تمعنت في وجهي وملابسي وراحت تقدم سيلا من الاعتراضات.. لا ترسلي شعرك هكذا بطريقة جذابة، اجمعيه في (قراصة)، انزعي هذه التنورة (الله يخليج) فهي ضيقة، انزعي هذه السلسلة فالذهب لا يمكن لبسه في الكلية حتى لو كان بسيطا... وانا مطيعة لكنني مع كل تلك الطاعة التف على تلك التوجيهات تارة بالمزاح واخرى بالتبرير قائلة: والله يا ماما انا اقل من زميلاتي زينة واكثرهن حشمة ومع هذا وذاك فأنا (من صنع يديك) لا تخشى عليّ فأنا (متربية) جدا.. نصل التكسي وامي منصتة تراقبني كيف اتحدث مع زميلتي وكيف انصرف وتحصي علي كل كلمة وحركة وكأنها احد افراد الامن للنظام السابق..!

وعند ترجلي من التاكسي تسمع امي تعليقا من احد الواقفين وهو يشير الى ما معناه شعر جميل ومرسل بلا حجاب حتي في رمضان.. وادرك بفراستي ان هذه الملاحظة ستجعل امي تنفذ رغبتها المتأججة في ان ارتدي الحجاب ولو لشهر رمضان الفضيل مع انني غير صائمة.. ندخل الاستعلامات، يعترض رجل الامن على زميلتي لانها ترتدي البنطلون، وتدخل في مناقشة معه واحمد الله ان امي قد غادرت والا كانت ستقف الى جانب رجل الحراسات ذلك الذي لا ينقصه الا ان يضع العمامة على رأسه.. ندخل الحرم الجامعي بعد طول مناقشة وتأكيد زميلتي انها المرة الاخيرة التي ترتدي بها البنطلون.. نسيت ان اقول لك ان جهاز الموبايل لزميلتي لم تسمح الاستعلامات بدخوله ذلك لانه يضم كاميرا.. ما عدا الموبايل الذي احمله.. اصف لك اجواء الكلية، واللافتات تؤكد الى جانب الصور ان الطائفية والتيارات السياسية تشغل بال الطلبة اكثر من الدروس والمحاضرات..

نلتقي عدداً من الزملاء ونخشى القاء التحية.. واتذكر تعليمات امي فأسرع بالوقوف الى جانب الزميلات وكأنني اهرب من شيء مخيف..!

❖ما شعورك وانت في الحرم الجامعي؟

-انا فرحة بالتأكيد لكنني خائفة.. لا أدري من ماذا قلقة لا ادري كيف؟ خجلة مرتبكة، اريد التغلب على كل هذه المشاعر لكنني لا اعرف كانت والدتي تتصل بي من خلال الموبايل وعند نهاية المحاضرات، أخبرتني انها ستحضر لاخذي بسيارة الاجرة الى البيت.. شعرت بالضآلة.. والحزن وبالقيود التي تكاد تخنقني.. ماذا لو عدت وحدي بسيارة الاجرة؟ ماذا لو سرت في الشارع واستقللت "كوستر" كبقة خلق الله وجربت يوما ان انتقل بطريقة (النفرات)؟ عدت الى البيت واسئلة امي تكاد تفجر رأسي الى جانب الوعظ والارشاد وكأنني طفلة غريرة..!

في الظهيرة رن الهاتف الارضي، رفعه شقيقي الذي يكبرني واخذ يستفسر من زميلتي.. من انت؟ ما اسمك؟.. وبعد ان تأكد من هويتها ناولني السماعة.. هذه الطريقة آلمتني كثيرا لكنني لا استطيع الاحتجاج عليها..!

اقضي كل ساعاتي اما بالحديث في الهاتف او بالبقاء في غرفتي... فلا استطيع ان امارس هواياتي في الذهاب الى المسرح مثلا فالظرف الامني يلاحقني.. والذهاب الى زيارة الصديقات العقبة نفسها.

الحرس الجامعي

عند مدخل مجمع باب المعظم للكليات التابعة الى جامعة بغداد يواجهنا السيد ناصر العتابي وشهرته (أبو عصام) وهو مسؤول الحرس الجامعي:

❖هل صحيح ما يقال انكم تضايقون الطالبات بالتوجيهات تارة.. وبالكف عن لبس البنطلون تارة اخرى.. ثم الالتزام بالزي الموحد.. لقد تحدثت طالبات إلينا بذلك.. ما ردك؟

-نحن وجدنا لحماية ٤٠ ألف طالب وطالبة وهم امانة في اعناقنا.. انهن اخواتنا وبناتنا.. في بداية السنة الجديدة هذه بلغنا الطلبة بالالتزام بالزي الموحد، فقد وجد من اجلهم وحماية لهم وتعريف بشخصهم. البعض تقبل الموضوع والقلة رفضت.. نحن نتحدث معهم من اجل مصلحتهم.. أما عن منع لبس البنطلون او اننا رفضنا دخول طالبة لانها كانت ترتدي البنطلون فهذا لم يحدث ابداً.. بعض الفتيات يلبسن الذهب على نحو مبالغ فيه ونحن ننصحهن بعدم لبسه خوفاً عليهن فقد يكن عرضة للاختطاف.. او يفقدن الذهب وقد حصل ذلك مرارا..

❖يقال انكم تمنعون دخول جهاز الموبايل مع الطالبة لماذا؟

-لا.. ليس كل موبايل.. فقط الذي يحتوي على الكاميرا.. فقد تستغل الصورة التي يلتقطها الطالب للطالبة (بدون علمها) وتستغل ضدها.. او قد يعطيها لاصدقائه.

❖والحرشة.. هل تمنعونها في الداخل وفي الخارج ايضا؟

-نعم.. اذا استنجدت الطالبة بنا عند الحرشة في داخل او في خارج المبنى تقف الطالبات لانتظار اولياء امورهن في نهاية الدوام ونقوم بالطبع بحماية الفتاة التي تقف في الانتظار وهي ضمن مسؤولياتنا.

❖هذه التعليمات التي اوردتها.. هل هي من العمادة ام من الوزارة؟

-انها تعليمات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي كما تردنا تعليمات من العمادة.. لقد طلبنا من العمادة ان تزودنا باسماء الطلبة الجدد في المرحلة الاولى لكي نتعرف عليهم بغية منع دخول أي غريب الى الحرم الجامعي.. ونمنع الدخول من السياج حتى للطلبة، فالطالب المحترم يدخل من الباب.. ولكن البعض يحلو له الدخول من السياج الذي وجد حماية للطلبة.. بعض الطلبة يتحايل لادخال موبايل الكاميرا فقد ثقب احدهم غلاف الكتاب ليخفي الموبايل.. لكننا اكتشفناه..

حصلت مشكلة البارحة عندما منعنا دخول طالب في حالة هذيان جراء تناوله (حبوب الهلوسة) الا ان الطلبة احتجوا على ذلك الاجراء، وتظاهروا من اجل ذلك، ولكن كيف نسمح لطالب (مكبسل) ان يدخل الجامعة؟ هم صاروا يتظاهرون لاي سبب كان.. ولوجود الطالبات قمنا بمنع دخول ذلك الطالب فقد يتصرف تصرفات مخلة بالآداب كونه فاقداً اتزانه ووعيه.. وبوجه عام تربطنا صداقات صميمة مع الطلبة.

الاستعلامات

في مبنى مجمع باب المعظم هناك ٤ فتيات يشكلن قسم الاستعلامات التابع للحرس الجامعي يتحدثن بحزن عن الخشونة التي تقابلهن بها الفتيات عندما يطلبن منهن فتح الحقائب لتفتيشها كذلك تفعل التدريسيات تحدثت احداهن قائلة:

-نحن نقوم بواجبنا لحماية امن المجمع وهي من مسؤولياتنا الا ان الغالبية من الطالبات ينزعجن من عملية التفتيش.

❖ربما لان طريقة طلب التفتيش تطرح على نحو خشن او بطريقة تشبه الاوامر.. وهذا ما يزعج حتماً؟

-لا ابدا نحن نتعامل مع الطالبات بكل لطف وادب ولكن.. ربما كانت مهمتنا بحد ذاتها مثارا لازعاج البعض.

ملاحظة: (رفضت الموظفات الاربع التصوير كما رفضن ذكر اسمائهن عند الحوار.. لا اعرف السبب.. ربما زيادة في الحيطة والحذر).

اتحاد الطلبة

رئيس اتحاد الطلبة في كلية اللغات الطالب عمر فاضل يحدثنا عن زميلاته الطالبات فيقول:

-علاقتنا طيبة بالطالبات.. في العام الماضي اقمنا ندوتين عن حرية المرأة حضرها عدد كبير من الزميلات.. لدينا نصيحة لاخواتنا بالابتعاد عن الازياء المثيرة والالوان الصارخة ولبس الذهب.. هناك خط مواصلات للطالبات يذهب الى منطقة ما من بغداد معروفة بالثراء.. تأكدي ان ما تلبسه طالبات ذلك الخط من الذهب يعادل (٥) كيلوغرامات هذا وحده يجعلهن غنيمة سهلة للسراق او للاختطاف.. لدينا نشرة باسم (جامعة بغداد) ملاكاتها ٧ طالبات وطالب واحد فقط.. ان هذا يفرحنا فقد اثبتت الطالبة جدارتها.. جو الدراسة تتخلله المنافسة الحرة الشريفة.. اما ان ينقلب الى دار عرض الازياء والحلي والاكسسوارات فأمر غير منطقي.. اليك مراحل تطور الطالبة من حيث المظهر منذ البداية حتى التخرج.. فهي تبدأ في الايام الاولى للمرحلة الاولى، خجولة، بسيطة ولكن بعد نصف السنة تراها وقد ارتدت الملابس المثيرة وصبغت شعرها ووضعت العدسات الملونة بحيث يصعب معرفتها.

يشاركنا في الحديث عضو الاتحاد اياد سامي زميل الطالب عمر فيقول:

-لا تنس ان المرحلة العمرية التي تمر بها الطالبة هي مرحلة حرجة ١٨ سنة وهي فترة مراهقة.

يضحك اياد ويقول وهذا ينطبق على الجميع.

❖هنا نحتاج الى الارشاد الهادئ البعيد عن التصريح واللوم الشديد.. والا ما رأيك يا عمر؟

-والله اهنئ اخواتنا ويحز في نفسي ان نسمع كلمة لوم لاحداهن حتى لو جاءت عن وجه حق.. ان روح الزمالة التي تجمعنا هي اسمى ما في الدراسة الجامعية.

❖ما رأيكما في الاختلاط المبني على روح الزمالة التي تحدثتما عنها الان؟

-الاختلاط ممارسة جديدة بالنسبة للطلبة وبعض العلاقات هنا تنتهي بالخطوبة.. ثم زواج ونسبة الخطوبة هي ٣٥٪. يضحك ويقول: انا نفسي خطبت زميلتي.. لقد عمدت ادارات بعض الكليات باحاطة المبنى المشترك بسياج عازل منعا من دخول الطلبة اليها برغم وجود الباب الرئيس المشترك والمطل على الشارع العام فما ذلك السياج المشبك غير عزل الطلبة عن بعضهم.

اما كلية الاعلام فقد اقامت جدارا مبنيا من الطابوق نسميه نحن (الجدار العازل) لمنع اختلاط الطلبة ببعضهم.

الزي الموحد والحجاب

❖الزي الموحد.. والحجاب.. ما رأيكما بهما معا؟

-الحجاب قد يكون مفروضا على الطالبة.. وقد ازداد بشكل كبير في الاونة الاخيرة ربما للظرف الامني.. وأمره متروك لتقديرات الطالبة وظرفها.. اما الزي الموحد فلدينا ندوة قريبة حوله.. نحن ندعو له لانه يمثل هوية الطلبة وانتماءهم الى الجامعة وانه احسن بكثير من الالوان البراقة.

شفافية التعليمات

الدكتور فليح كريم الركابي عميد كلية الاداب /جامعة بغداد تحدث عن الزي الموحد للطالبات قائلا:

-نحن نتعامل مع الطالبات بخصوص الزي الموحد بكل شفافية بعيدا عن الاكراه او اللوم وتوجيه الاوامر او اطلاقها بقسوة.

الدكتور جواد مطر الموسوي معاون عميد كلية الاداب/جامعة بغداد يعقب على شكوى احدى الطالبات من منعها ارتداء البنطلون قائلا:

-يجب ان يكون البنطلون غير ضيق الى درجة كبيرة.. لقد شاهدت طالبة ترتدي البنطلون مع قميص قصير جدا وهو ما يطلق علي (البدي) بحيث لو تحركت قليلا لظهر جسمها.. مثل هذا الزي يرفضه الذوق والاخلاق التي تربينا عليها والحشمة التي اتصفت بها الفتاة العراقية.

التعليمات المركزية لدينا تنص على التأكيد على الزي الجامعي والتعامل بشفافية مع الطلبة ومراعاة نفسيتهم العامة بسبب الظرف العام.. نطلب من الطالبة عدم المغالاة في الزينة حتى التبرج لكي لا تظهر هناك فروقات طبقية.

❖الحجاب الذي انتشر وبشكل كبير في الجامعات هل تعتقد ان من ترتديه مؤمنة به ام انها تخشى ملاحقة الشارع او لارضاء طلب الوالد او الاهل؟

-الحجاب قضية دينية ثابتة والمفروض ان من ترتديه انما تفعل ذلك عن قناعة.. وصحيح البعض ترتديه من اجل تنفيذ اوامر الاهل.

❖ما مفهوم الحرية في الحرم الجامعي؟

-انظري.. انك تقولين (الحرم) وهذا تأكيد آخر على قدسية المكان.. الجامعة لها مكانة كبيرة لذلك سمي بالحرم الجامعي فعلينا ان لا نفرط بهذا الحرم وان لا نخدشه او نمسه.. الاجواء الان في الجامعة اكثر اشراقا من ذي قبل عندما كان النظام البعثي متمثلا بالاتحاد الوطني لطلبة العراق الذي كان يعد التقارير ويظلم الجميع ويبتز الطلبة خاصة الطالبات.. كانت الطالبة هي الضحية فاما تنساق لرغباتهم وتسقط في الفخ او اذا تمردت تكال لها التهم الان الانفتاح والحياة الجديدة تتسم بالحرية النظيفة غير المبالغ بها.. الحرية بمعناها الاصيل البعيد عن الانزلاق الى مهاوي السقوط..

❖هل تعني الحرية المقيدة؟

-لا.. الحرية التي يتقبلها الجميع دون أي اعتراض ودون ان تخدش احدا..

الشعور بالظلم

استاذ علم الاجتماع المشهور الدكتور قيس نعمة النوري يتحدث عن الفتاة الجامعية في العراق فيقول:

-الحديث عن المرأة في العراق اخطر ما فيه الظلم الذي وقع عليها.. مظلومة من الاساس شعور المرأة الجامعية بالظلم كبير ذلك لانها تواجه مجتمعاً ظالماً ومتخلفاً. ارى ان صبر المرأة اسطوري ولا اغالي اذا ما قلت ان صبرها خرافي.. العراقية ضحية اكثر من كل نساء العرب وكأن الله خلقها للحزن وكأنها لا تتوقع غير الحزن انها تعكس حياة شعب طوال قرون. انها تؤرخ حياة المجتمعات طوال الفترة التاريخية المنصرمة.. لقد كانت المرأة ضحية العنف والاستبداد والحروب وكل ما مر على العراق لذا فأرى ان ازاحة الظلم عملية صعبة وتحتاج الى جرأة وشجاعة.

المرأة العراقية تقر انها تخبئ مشاعرها، انها شديدة الخجل والحياء وفي طيات حيائها تخفي الكثير والكثير.

المجتمع يظلم المرأة في ادق الامور.. في أدقها حساسية والحاح.. الحب عندنا محظور!. الحب لدينا نحاسب عليه، وممنوع وانه يدمر شرف الاسرة.

❖كيف تجد الاجواء الجديدة بعد سقوط النظام.. الطالبات يطالبن بحرية اكثر مما كانت ممنوحة لهن سابقا.. ما رأيك؟

-الاجواء الجديدة بعد سقوط النظام اجدها بخير.. وانا متفائل جدا في تحسينها بعد زوال الاضطراب الامني الذي اجده حالة مؤقتة وارى ان الافاق قد فتحت وان الابواب الموصدة قد فتحت هي الاخرى وبدأت تبشر بخير.

موسى والعراق

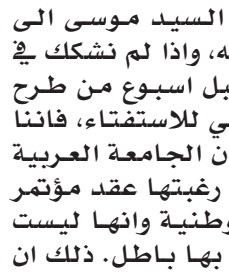

صافي الياسري
Safealyassry
@yahoo.com

تذكرت الجامعة العربية بعد نسيان طويل ان العراق واحد من البلدان المؤسسة. وانه في حال يستدعي المعاينة فقررت ايفاد امينها العام، لعقد مؤتمر عراقي يختص بالمصالحة الوطنية، فاهلا بالجامعة العربية على تأخرها وان كنا نعرف انه لولا تصريح وزير الخارجية السعودي حول مصير العراق واسراع رئيس وزراء الاردن الى العراق بعد استشعار دول الجوار العربية حرارة التنور العراقي وتطاير الشرر اليها.. لما اهتمت الجامعة العربية ولا كل العرب بمصير العراق، لا بل كان المستنتج من وقائع الحال ومجريات الامور ان يصعد العرب درجة الاشتعال في الموقد العراقي على وفق حسابات قطرية واقليمية قصيرة النظر.. وهكذا تقرر ان يقدم عمر موسى / عميد الجامعة العربية/ نيابة عن الاقطار العربية التي لذعتها حرارة التنور العراقي وتحسب مسبقا لما هو اشد قابلا، وما قلنا لموسى والجامعة العربية الا كلمات الترحيب وما ابدينا الا استعدادنا الجدي للتعاون في انجاح المهمة التي اخذت الجامعة على عاتقها امر تنفيذها فهي من صالحنا اولا وهي خير سعينا اليه منذ اليوم الاول لاسقاط النظام السابق، وكنا نفترض التفاؤل في مهمة عمرو موسى ونحبذ لها ذلك، اما ان يأتي وهو يضع في باله التشاؤم وعدم الثقة بروح الوحدة العراقية التي صمدت برغم كل محاولات الاعداء لاشعال نار الفتنة الطائفية، فذلك ما لا نرضاه وندعو السيد موسى الى اعادة النظر فيه، واذا لم نشكك في نيات موسى قبل اسبوع من طرح الدستور العراقي للاستفتاء، فاننا نريد ان نثق بأن الجامعة العربية سليمة النية في رغبتها عقد مؤتمر للمصالحة الوطنية وانها ليست كلمة حق يراد بها باطل. ذلك ان تصريحات السيد موسى السبت الماضي لاذاعة بي بي سي ان العراق يواجه خطر اندلاع حرب اهلية وشيكة، تمثل مفاجأة او صدمة لنا لم يجرؤ أي من سياسيينا واعلاميينا وشخصياتنا الوطنية على وضعها في حيز الاحتمال بله التأكيد.

يقول موسى ما نصه: ان الوضع غاية في التوتر الى حد ان هناك خطرا حقيقيا لحرب اهلية في الاجواء قد تندلع في أي وقت حتى ان كان البعض يعتبر انها بالفعل دائرة!

واذا غفرنا لموسى تحسبه من امكانية اندلاع حرب اهلية وكيف نفهم قوله ان البعض يعتبرها دائرة فعلا؟ هل يعني بذلك ردة الفعل العربية تجاه الهجوم المعتاد للارهاب في تلعفر وسامراء والمنطقة الغربية؟

ام يعني ان طرح الدستور للاستفتاء وقد قارب زمنه دون تراجع عملية تتطلب جراحة قيصرية على الاغلبية العراقية التي بدأوا يعممون عليها مصطلحا جديدا غريبا عن الديمقراطية الحقة، الا هو (دكتاتورية الاغلبية) ان تتحمل مشرطها واوجاعها، ومهما كانت المسميات والمصطلحات المستخدمة، فنحن جميعا بصفتنا عراقيين كلنا توق الى مصالحة وطنية حقيقية بنيات صادقة تفترض تماسكنا مسبقا وتعمل على استمراره وليس العكس، ومن يعرف العراقيين حقا يعرف انهم شعب اللحمة والسدى الواحد وان احدا لم يتمكن من زرع الفرقة والشقاق بينهم تحت أية لافتة، فليطمئن موسى، فالعراقيون بخير وان هبت بعض الرياح المؤذية على اجزاء من ديارهم ما تلبث بعد قليل حتى تهدأ.